

المحاضرة السادسة: اتجاهات ما بعد الحداثة - تفكيك السرديات وتعدد الأصوات

مقدمة: ما بعد الحداثة (Postmodernism)

ظهرت ما بعد الحداثة كحركة فكرية وثقافية واسعة في النصف الثاني من القرن العشرين، كرد فعل وتجاوز للحداثة (بما في ذلك التيارات التي ناقشناها سابقاً مثل الواقعية، التعبيرية، المسرح الملحمي، ومسرح العبث). إذا كانت الحداثة قد سعت إلى البحث عن معنى أو نظام جديد في عالم متزعزع (حتى لو كان هذا المعنى هو العبث نفسه)، فإن ما بعد الحداثة تتميز بالتشكيك الجذري في إمكانية وجود أي معنى كلي أو حقيقة مطلقة أو سردية كبرى (grand narrative) قادرة على تفسير العالم.

تتسم ما بعد الحداثة برفض التسلسلات الهرمية، والاحتفاء بالتعددية، والتناقض، والتشظي، واللعب. في المسرح، تجلى ذلك في تفكيك الأشكال التقليدية للسرد والشخصية واللغة، والتشكيك في مفهوم المؤلف الأصلي، وطمس الحدود بين الفنون المختلفة، وبين الثقافة العالية والثقافة الشعبية، وبين الواقع والتمثيل.

سمات وخصائص مسرح ما بعد الحداثة

يصعب تحديد تعريف واحد جامع لمسرح ما بعد الحداثة نظراً لتنوعه الشديد، لكن يمكن رصد مجموعة من السمات والخصائص المتكررة: تفكيك السرديات الكبرى: يشكك مسرح ما بعد الحداثة في السرديات التقليدية (التاريخية، السياسية، الدينية) التي تدعي تقديم تفسير شامل للعالم، ويعرض بدلاً منها وجهات نظر متعددة، متشظية، ومتناقضة أحياناً.

1 التشظي والتناص (Intertextuality) : تتسم بنية المسرحيات غالباً بالتشظي

والتفكك، مع الاعتماد الكبير على الاقتباس، والمزج بين نصوص وأساليب وأنواع فنية مختلفة. (Pastiche) النص المسرحي لم يعد وحدة عضوية متكاملة، بل هو شبكة من العلاقات مع نصوص أخرى.

2 طمس الحدود: تزول الحدود الفاصلة بين المأساوي والهزلي، بين الحقيقة والخيال، بين

النص والأداء، بين الممثل والشخصية، وبين المسرح والحياة. كما يتم طمس الحدود بين

الفنون المختلفة، حيث يدمج المسرح عناصر من الرقص، والموسيقى، والفنون التشكيلية، والسينما، والإعلام.

3 الوعي الذاتي والسخرية (Self-reflexivity and Irony): يعي مسرح ما بعد الحداثة

بذاته كمسرح، ويكشف عن آلياته وتقنياته بشكل واع، غالبًا من خلال السخرية واللعب. يتم التشكيك في مفهوم الأصالة والإبداع الفردي.

4 التركيز على السطح والصورة: بدلاً من البحث عن العمق النفسي أو المعنى الخفي، يحتفي

مسرح ما بعد الحداثة بالسطح، والصورة، والمشاهدة (Spectacle). الأداء الجسدي، والمؤثرات البصرية والسمعية، والتكنولوجيا تلعب دورًا هامًا.

5. تعدد الأصوات ووجهات النظر: يرفض مسرح ما بعد الحداثة فكرة وجود صوت واحد

مهيمن أو وجهة نظر مركزية، ويسعى بدلاً من ذلك إلى تقديم أصوات متعددة، خاصة أصوات الفئات المهمشة (النساء، الأقليات العرقية، إلخ).

6. دور المتفرج النشط: لا يقدم مسرح ما بعد الحداثة غالبًا تفسيرًا نهائيًا، بل يدعو المتفرج

إلى المشاركة بنشاط في بناء المعنى من خلال تجميع العناصر المتناثرة وتأويل العلاقات المتعددة.

7. أمثلة وتحليلات:

تتنوع تحليلات مسرح ما بعد الحداثة بشكل كبير. يمكن رؤية تأثيرها في أعمال كتاب مثل الألماني هاينر مولر (Heiner Müller)، الذي قام بتفكيك وإعادة كتابة نصوص كلاسيكية (مثل "هاملت" في مسرحيته "آلة هاملت" Hamletmachine "لخلق كولاجات نصية متشظية تعكس أزمت التاريخ والسياسة. وفي المسرح الأمريكي، يعتبر سام شيرد (Sam Shepard) خاصة في أعماله المتأخرة) وماريا إيرين فورنيس (María Irene Fornés) من الكتاب الذين استكشفوا لغة متشظية وشخصيات غير مستقرة.

برز مخرجون ومبدعون مسرحيون مثل روبرت ويلسون (Robert Wilson)، الذي يخلق

عروضًا بصرية مذهلة تعتمد على الصور البطيئة، والحركة المنمقة، والمزج بين عناصر مختلفة، حيث

يتراجع النص اللغوي لصالح التجربة الحسية والجمالية. وتعتبر الكاتبة البريطانية كاريل تشرشل

(Caryl Churchill) من أبرز ممثلي مسرح ما بعد الحداثة، حيث تتناول في مسرحياتها (مثل

"Top Girls" و("Cloud Nine" قضايا النوع الاجتماعي، والسلطة، والتاريخ بأساليب شكلية مبتكرة، وتفكك البنى التقليدية للشخصية والزمن. بالإضافة إلى ذلك، يرتبط مسرح ما بعد الحداثة ارتباطًا وثيقًا بفن الأداء (Performance Art)، الذي يركز على جسد المؤدي وحضوره المباشر، ويتحدى الحدود بين الفن والحياة.

خاتمة المحاضرات:

إرث مستمر وتساؤلات مفتوحة بهذه النظرة على اتجاهات ما بعد الحداثة، نختم سلسلتنا حول نظرية الدراما الحديثة. لقد رأينا كيف تطور المسرح الغربي بشكل جذري منذ أواخر القرن التاسع عشر، متأثرًا بالتحويلات الفكرية والاجتماعية والسياسية الكبرى. من الواقعية التي سعت إلى تصوير الحقيقة، إلى الرمزية والتعبيرية اللتين استكشفتا أغوار النفس، إلى المسرح الملحمي الذي هدف إلى التغيير السياسي، إلى مسرح العبث الذي عبر عن فقدان المعنى، وصولاً إلى ما بعد الحداثة التي شككت في كل شيء واحتفت بالتعدد والتشظي.

كل تيار من هذه التيارات ترك بصمته على المسرح المعاصر، ولا تزال أفكار وتقنيات رواد الدراما الحديثة تلهم وتثير الجدل حتى اليوم. لم يمت أي من هذه الاتجاهات تمامًا، بل تتداخل وتتفاعل في المشهد المسرحي الحالي المتنوع والغني. يبقى المسرح، في جوهره، فنًا حيًا ومتغيرًا، يعكس ويعلق ويتفاعل مع تعقيدات العصر الذي ينشأ فيه. وتبقى الأسئلة التي طرحتها الدراما الحديثة حول الواقع، والذات، والمجتمع، والمعنى، أسئلة مفتوحة تدعونا دائمًا إلى التفكير والنقاش.